أثر مسجد عمر

وُجد في القدس الشريف في الحادي والثلاثين من شهر يوليو الفائت حجر عليه كتابة عربية بحروف كوفية. والحجر مربَّع طوله متر وعرضه متر وقد وُجد في جدار شرقي

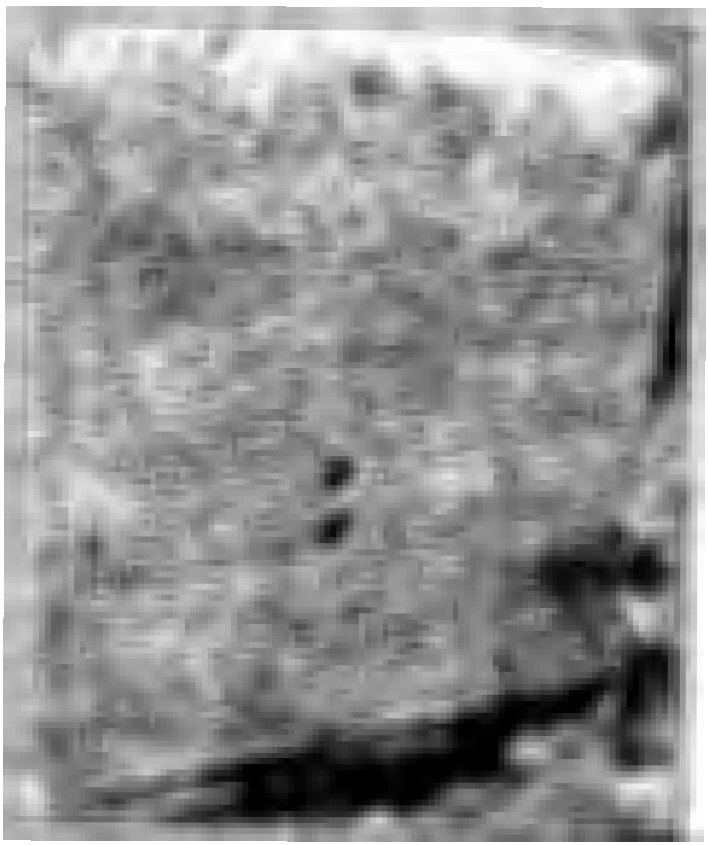

كنيسة القيامة فرسل إلى دار الكتب في الاستانة بعلبة كبيرة من الآثار التي كانوا في القدس الشريف وقت اكتشافه صوروه صوراً فوتوغرافية وهذه الصورة مأخوذة عن صورة منها في نشرة جمعية بحث في فلسطين

والخط كوفي وقد قرأه الدكتور مكس فان برشم كما في الصفحة الثانية حسب ترتيب السطور

بسم الله الرحمن الرحيم
خرج الامر العالي من الحضرة المطهرة
بصيانة هذا المسجد وعمارته وان لا
يُدخله احدٌ من الذمة في استجراح ولا
في غيره ويحذر من مخالفة ذلك وليمتثل
المرسوم في امره ان شاء الله

ولم يرتَب الاَّ في قراءة كلمة استجراح فقال ان حروفها من غير نقط واولى ما يتبادر الى الذهن انها استخراج لكن كلمة استخراج لا تفيد معنًى هنا . اما كلمة استجراح فيحتمل انها من جرح الشاهد اي اظهر ما تردُّ به شهادته كأن المراد منع اهل الذمة اي النصارى واليهود من دخول ذلك الجامع للقسم على تجريح شهادة. واستدرك الدكتور برغيم على ذلك بان كتب اللغة لا تقول باستعمال وزن استفعل من جرح الشهادة . فان كان المعنى المشار اليه صحيحًا فالنقص منها والاستعمال حسَن

ثم التفت الى تفسير بعض الالفاظ ليستدل منها على الزمن الذي كتبت فيه وعلى تاريخ بناء المسجد فقال ان لفظة " الحضرة " استُعملت في القرون الوسطى للدلالة على الملك او الخليفة او مكان اقامته . وقد جاء في ديوان الانشاء المؤلَّف في القرن الخامس عشر للبلاد ان هذه اللفظة كانت تستعمل كثيرًا في مخاطبات الخلفاء متعوتة بالعلية او بالسنية ثم صارت تستعمل الآن (في القرن الخامس عشر) في مخاطبات ملوك النصارى وبطاركتهم

وقد ظن الرهبان الفرنسكانيون الذين في القدس الشريف ان هذه الكتابة كتبت في عهد السلطان صلاح الدين الايوبي لكن الذين دققوا البحث في اشكال الخطوط العربية يعلمون انها اقدم من عهد صلاح الدين لان كل النقوش الباقية الى الآن من عهده مكتوبة بالحروف المستديرة لا بالقلم الكوفي ولذلك فهذه الكتابة اقدم من زمن الايوبيين والحضرة المذكورة فيها يراد بها خليفة من الخلفاء

فاي خليفة يراد بها . قال الدكتور برغيم ان كلمة المطهَّرة تدل على ان الخليفة كان من العلويين. ثم التفت الى المسجد المراد بهذه الكتابة فقال ان المكان الذي وُجد فيه الحجر الآن بيد المسيحيين ولا مسجد فيه وهو حائط من كنيسة قسطنطين الملك القديمة قرب مدخلها الشرقي ولعلَّ سعيد ابن البطريق اشار الى هذا المدخل حيث قال ما خلاصته "ان الخليفة عمر بن الخطاب دخل القدس الشريف وجلس في صحن كنيسة القيامة مع البطريك

صفرونيوس ولما اقترب وقت الصلاة وقام الخليفة ليصلي دعاهُ البطريرك ليصلي هناك فقال لا فسار به البطريرك الى الكنيسة نفسها وبسط لهُ سجَّادة ليصلي عليها فابى فسار به الى الدرج الذي عند مدخل كنيسة قسطنطين من جهة الشرق فصلى هناك ثم قال للبطريرك اتعلم لماذا لم اصلِّ داخل الكنيسة فقال البطريرك كلاَّ فقال الخليفة لو صلَّيت في الكنيسة لاخذها منكم المسلمون بعد موتي . ثم اعطاهُ عهدة يقول فيها انهُ يجوز للمسلمين ان يصلوا على درج تلك الكنيسة افرادًا ولا يجوز لهم ان يصلوا جماعة ولا ان يؤذن بهم مؤذن هناك

ثم ان الخليفة طلب من البطريرك ان يدلهُ على مكان يبني فيهِ مسجدًا للمسلمين فدلهُ على مكان الصخرة حيث بني جامع عمر على شرط ان لا يبنى جامع غيرهُ في القدس الشريف

ثم قال ابن البطريق ان المسلمين خالفوا في ايامهِ امر الخليفة لانهم زعموا القيافاء عن القنطرة وكشفوا ما يشاءون وصاروا يقيمون الجمعة هناك ويؤذنون بهم مؤذن وفعلوا مثل ذلك بكنيسة قسطنطين فاخذوا نصفها وجعلوهُ مسجدًا سموهُ مسجد عُمَر . اي حيث صلى الخليفة عمر وحيث وجد هذا الحجر . وقد استنتج الدكتور برغيم من ذلك ان ابن البطريق قصد في ما كتب اظهار حق النصارى بكل كنيسة القيامة وما حولها بناه على عهد الخليفة عمر لهم ولم يقصد ذلك الاَّ لانهُ حدث ما يخالفهُ قبل ايامهِ وهذا يدلُّ على ان المسجد المشار اليهِ آنفًا اقيم قبل ايام ابن البطريق والكتابة كتبت قبل زمانهِ او قبلاً كتب تاريخهُ

ثم ان الكتابة تدلُّ على انها كتبت في عهد خليفة من العباسيين او العلويين لكن شكل الكتابة يدلُّ على انها كتبت قبل العلويين حينما كان الاعتراف بخلافة بني العباس على اصرحهِ بين سنة ٢٩٣ وسنة ٣٢٤ اي قبيل وفاة ابن البطريق بقليل فانهُ توفي سنة ٣٢٨ للهجرة

ومعلوم ايضًا ان القرامطة قاموا في ذلك الحين فامتنع الحج الى مكة المكرمة بسببهم وجعل المسلمون يحجون الى بيت المقدس وبقوا يحجون اليهِ عشرين سنة والظاهر انهم حولوا نصف الكنيسة مسجدًا وسموهُ مسجد عمر لان الامام عمر صلى هناك . وعليهِ فقد كتبت الكتابة المشار اليها في عهد الخليفة المقتدر سنة ٣١٨ للهجرة بعد ما سطا ابو طاهر القرمطي على البيت الحرام. ثم اعاد الصليبيون هذا المكان الى المسيحيين ولم يستردهُ منهم صلاح الدين لسبب لا نعلمهُ انتهى

هذه خلاصة ما اثبتهُ الدكتور مكس فان برغيم. وقد عنينا بتلخيصهِ لكي يطَّلع قرَّاء المقتطف على العناية التي يبذلها علماؤهم في البحث عن آثارنا والتنقيب عن تاريخها . ولولاهم لبقي هذا الحجر في مكانهِ ابد الدهر ولم يستفد منهُ احد فائدة تاريخية او لُغوية ثانية حتى زالت الكتابة عنهُ وضاع ما فيهِ من الفائدة